حوليات آداب عين شمس المجلد 51 (عدد أكتوبر – ديسمبر 2023)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

الحياة الاجتماعية في طرابلس الغرب من خلال كتابات الجغرافيين والرحالة المغاربة (ق 5– 9هـ/ 11– 15م)

اسمهان عبد الجليل*

جامعة عين شمس
asmahan929@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022/06/16
تاريخ قبول البحث: 2022/07/26
تاريخ النشر: 2023/12/30

المستخلص:

تتناول هذه الدراسة الحياة الاجتماعية في مدينة طرابلس الغرب ما بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين/ 11 – 15م اعتماداً على كتابات الجغرافيين والرحالة المغاربة، حيث رصدت أهم عناصر السكان خلال هذه الحقبة التاريخية، من القبائل البربرية والعناصر العربية وأهل الذمة التي قطنت طرابلس، وتحديد مواطن كل عنصر من هذه العناصر والدوافع وراءها، وحددت طبقات المجتمع العليا والوسطى والدنيا، على أساس الثروة وملكية وسائل الإنتاج، وهو ما ترتب عليه التنوع والتفاوت في وسائل المعاش كالملبس والمأكل والمشرب والمسكن وتعدد أنواع الملابس، كما أبرزت الدراسة أخلاق أهل طرابلس وعاداتهم وتقاليدهم التى تحدث عنها الرحالة والجغرافيون، والتى كانت خير معبر عن حياة المجتمع فى طرابلس ومدى تأثرهم ببيئتهم وظروفهم الحياتية المختلفة لما حوته من عادات وتقاليد حسنة أو سيئة. وأخيراً ألقت الضوء على وضعية المرأة ومكانتها داخل المجتمع، وإن كانت النصوص عاقت إبراز دور المرأة في طرابلس بشكل متكامل، إلا أنها جادت بذلك عندما تعلق الحديث بما بلغته المرأة من مكانة اجتماعية.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب – جامعة عين شمس 2023.

مدخل:

أدب الرِّحلات هو مجموعة الآثار الأدبيَّة التي تتناول انطباعات المؤلّف ومشاهداته وأحاسيسه ومشاعره وأفكاره عن رحلاته، يصف فيه ما رآه في بلاد مختلفة من عادات الناس، وتقاليدهم، ومدارسهم وما إلى ذلك، وتعدّ كتب الرحّالة والجغرافيين من المصادر ذات الأهمية في كتابة التّاريخ؛ نظراً لاشتمالها على الوصف الشامل في جوانب متعدّدة للأقاليم والبلدان والمدن، ومظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية، ولكنها تختلف في محتوياتها من عصر إلى آخر من حيث: استقصاء الأخبار، وتفاصيلها بين هذا المصدر أو ذاك بحسب ظروف الرحّالة وثقافته التي من خلالها يسجّل لنا مشاهداته عن العصر الذي وجد فيه أو ما نقله عن غيره من السابقين عن عصره.[1]

فالرحلة تقدم صورة تاريخية لمدة نابضة بطبيعة العصر الذي عاش فيه الرحالة، نحن نجد فيها قصص تحكي أحداثاً مستمدة من الواقع وبشخصيات حقيقية، فالرحالة يعرّفنا على واقع البيئة التي شاهدها والمجتمع الذي اختلط فيه، والرحلة بذلك تجسد بعض الحقائق المعرفية عن المرحلة التاريخية التي عايشها الرحالة، حيث أنها مصدر دونت بشهود عيان، فدراستها من الناحية التاريخية مفيدة في التعرف بالجوانب العلمية والأدبية والاجتماعية والاقتصادية، بل حتى السياسية، وهذه الجوانب كلها كتبت بحسب ما شاهده الرحالة ولمسه، ولا شك أن هذه الأمور لا توجد في كتب التاريخ العامة أو الخاصة التي انصب اهتمام مؤلفيها على الأحداث السياسية.[2]

وانطلاقاً من ذلك تأتي طبيعة هذه الدراسة التي تهدف الكشف عن تفاصيل الحياة الاجتماعية في مدينة طرابلس الغرب خلال الفترة الممتدة من القرن الخامس إلى القرن التاسع الهجريين/ 11 – 15م استناداً إلى كتابات الجغرافيين والرحالة المغاربة[3]، من خلال تتبع عناصر السكان، ورصد طبقات المجتمع، وأهم مظاهر الحياة الاجتماعية، ووضعية ومكانة المرأة.

لا شك أن ساحل طرابلس الغرب كان له أثره فى نشاط السكان، وعلاقاتهم بالأمم الأخرى، إذ كان يجذبهم هذا الساحل نحو البحر، ومن ثم كان التفاعل والتأثير والتأثر المتبادل بين سكان طرابلس وشعوب البحر المتوسط، كما كان لهذا الساحل بما تحويه من موانئ ومرافئ الأثر الأكبر فى الرواج التجارى بالمدن الساحلية وازدهار النشاط الاقتصادى بالمنطقة، مما كان له مردوده فى حياة السكان الاجتماعية والثقافية.

- التركيبة البشرية وتوزيعها المجالي.

يتميز المجتمع بطرابلس الغرب خلال فترة الدراسة بتنوع التركيبة، حيث يتكون من عناصر بشرية قديمة موروثة عن مجتمعات سابقة، مثل البربر والعجم والأفارقة وأهل الذمة، ومجموعات بشرية وافدة زمن الفتح الاسلامي وما صاحبة من هجرات وتنقلات لعناصر عربية من المشرق[4]، وقد لفت ذلك أنظار اليعقوبي[5] حين أكد على هذا التنوع البشري بطرابلس بوصفه لها بـــأنها "مدينة قديمة.. عامرة آهلة وأهلها أخلاط من الناس.... يسكنها قوم من البربر من زناتة ولواتة والأفارقة".

ولا شك أن عوامل عدة تضافرت وكانت وراء هذا التنوع البشري، منها التجارة، فقد تفاعل سكان طرابلس مع التجارة تأثيراً وتأثراً، مما كان له أثره فى حياتهم الاجتماعية والثقافية، وعلى هذا فقد كان للتجارة أثرها فى الاحتكاك مع

التجار الوافدين، ومخالطتهم في سبل معاشهم[6]. كذلك الرحلات الموسمية التى مارستها القبائل، وأيضاً دوافع أخرى أدت لترحال القبائل والجماعات السكانية عن مواطنها منها القحط والجفاف، والحروب والخلافات سواء كانت لدوافع مذهبية أو سياسية، كما أن هناك دوافع للهجرة من أجل البحث عن الكلأ والعشب أو الأمن، كل ذلك أدى إلى تغير مواطن هذه القبائل من فترة لأخرى[7].

وقد جمع الإقليم أنماطاً من السكان منهم العرب، وأغلبهم من أحفاد العرب الذين استوطنوا في البلاد منذ حركة الفتوحات العربية الإسلامية، يضاف إليهم أولئك الذين قدموا ضمن الهجرة الهلالية من قبائل سليم وبني هلال، ثم أبناء القبائل المغاربية، وقد اختلط الفريقان ببعضهما وكونا غالبية السكان بالإقليم، ولم يؤثر اختلاف اللهجات وبعض العادات والتقاليد عى البنية الاجتماعية فيها، فعلى طول الساحل كان يعيش أقوام أغلهم من القبائل المغاربية إلى جانب القبائل العربية مثل عرب النوائل وهم عرب بني وشاح[8]، من بطون دباب، وهم ينقسمون إلى بطون كثيرة منها الجواري، والمحاميد[9]، وجماعات صغيرة أخرى. ومن خلال المادة التي وفرتها المصادر يمكن تقسيم التركيبة البشرية إلى مجموعات ثلاث : القبائل البربرية والعناصر العربية وأهل الذمة.

1- القبائل البربرية

والذين يمثلون جل سكان المدينة[10]، وعندما فتح العرب المسلمون بلاد المغرب وجدوا لفظة (بربر) مرتبطة بالسكان، فتداولتها ألسنتهم دون تمحيص، ولم يحاولوا أن يجدوا لهذه اللفظة تفسيراً، ومع ذلك فقد حاول بعض الكُتاب العرب تفسير التسمية حسب مفاهيمهم، فأوردوا في ذلك عدداً من الآراء، ولكن لا أحد منهم أرجع هذه الكلمة إلى أصلها الصحيح[11]، حتى أولئك الذين أرجعوا كثيراً من التسميات القديمة إلى أصولها الصحيحة، مثل البكري والإدريسي، وقد اختلفت آراء النسابة ومن كتب في الأنساب مثل الكلبي والطبري والبكري وغيرهم، حيث انقسمت هذه الآراء إلى قسمين، الأول يفسر كلمة بربر تفسيراً لغوياً لأن لغة القوم رطانة أعجمية وتختلط فيها الأصوات التي لا تفهم، فقيل لهم ما أكثر بربرتكم، والتفسير الثاني لهذه الكلمة، أن شعب المغرب اتخذ اسم أحد آبائه البعيدين وهو بر، وقيل أن موطنهم الأصلى فلسطين، فلما قتل داود عليه السلام جالوت رحلوا إلى بلاد المغرب.[12]

ومهما يكن أصل الاسم فهم يعدّو سكان البلاد الأصليين وأصحاب البلاد، إذ عاشوا بها منذ أحقاب بعيدة، وقد وقع إجماع بين المؤرخين والنسابة وغيرهم على تقسيم البربر إلى فرعين رئيسيين، هما: البتر والبرانس، أما بربر طرابلس فقسموا إلى أربع فرق كبيرة: لواتة، هوارة، نفوسة، زناتة.

أ. قبيلة لواتة

تعد لواتة من أكبر قبائل البربر وأكثرهم بطوناً، وتنسب لواتة إلى لو الأصغر ابن لو الأكبر، وهذا الأصغر هو (نفزاو)، وامتدت مساكنها من قابس إلى طرابلس، وليس ببعيد أن تتواجد بطون من لواتة فى إقليم كوار الذى استوطنته أكثرية بربرية، خاصة أن لواتة بدو رحل غالبون على إقليم برقة، إذ تكاد تتفق معظم المصادر على أن لواتة أول من سكن إقليم برقة من البربر[13]، ولا غرو أن تستوطن بطون لواتة مدن برقة مثل مدينة برانيق الهامة[14]، وتمتد حتى العقبة (عقبة السلوم) حيث تبدأ مساكن بطون (ماصلة بن لواتة) وتمتد غرباً حتى حصن هام يشبه المدينة يعرف بوادى مخيل

الذي أكثر سكانه من بطون لواتة[15]، فقد ظلت عناصر لواتة لها تواجدها فى مجالاتها فى القرن الخامس الهجرى/ 11م لكن بشكل محدود، فكانت مزاتة تسكن أسفل العقبة الكبرى من الشرق، كما كان أول منازل العقبة وهو القصر الأبيض[16]، يمثل آخر حد لواتة من الشرق.

ومن مدينة سرت إلى ودان فيما يلى القبلة – جنوب سرت – خمس مراحل، ويسكنها قوم من مزاتة وهم أكثر سكانها والغالبون عليها[17]، والمسافة ما بين سرت وودان موطن مزاتة هى نفس المسافة بين سرت وزويلة، لكن ودان إلى الجنوب الشرقى وزويلة إلى الجنوب الغربى من سرت.[18]

ب.قبيلة هوارة:

تعد قبيلة هوارة من أقدم القبائل البربرية التى استوطنت إقليم طرابلس، وقد كانت فاعلة باستمرار في الأحداث التي شهدتها طرابلس الغرب والمغرب عامة خلال العصر الوسيط[19]، ويشير اليعقوبي[20] إلى أن مواطن هوارة "من آخر عمل سرت إلى اطرابلس". وحسب إشارة البكري[21] فقد كانت تمتد في القرن الخامس الهجرى/ 11م من طرابلس إلى ودان فى ديار ومنازل وبيوت من شعر (خيام)، أى منهم المستقر ومنهم الرحل، الأمر الذى يعنى أن هوارة أصبحوا بدواً رحلاً بعد أن تقلصت منازلهم بأحواز طرابلس إلى البوادى الممتدة من طرابلس إلى ودان، والغالب أنها موطن بطون مسراتة. وقد تعددت بطون هوارة مثل "بنو اللهان ومليلة وورسطفة، فبطون اللهان بنو درمنا وبنو مرمزبان وبنو ورفلة وبنو مسراتة"[22]، ويذكر العبدري[23] مسراتة في شكل "مصراتة" ويذكر أنها كانت منتشرة إلى حدود ابن مظكوك غرباً. وقد اشتهرت قبيلة مسراتة بالتجارة خاصة تجارة العبور بين السودان والمدن المتوسطية غرباً وشرقاً، حيث كانت تمر التجارة عبر ميناء "قصر أحمد" الذي كان ينسب إلى مسراتة ويسمى كذلك "مرسى هوارة" حسب إفادة ابن رشيد السبتي[24] الذي نزل به عام 685هـ/ 1276م حيث يقول "إلى أن وافينا موضعاً يعرف بمرسى هوارة من صحراء برقة ويعرف بقصر أحمد".

ومنهم مسلاتة وهي قبيلة هوارية كانت مستقرة بالمنطقة الواقعة جنوب قرية بني حسن، وقد أشار إليها العبدري[25] بقوله: "وفي جنوب بني حسن مسلاتة وهم قوم يبرون أهل الدين ويكرمون الحجاج وهم على خير وصلاح".

ومنهم بنو خيار أحد بطون هوارة وكانوا مستقرين بقصورهم شمال غرب جبال مسلاتة لكن قصورهم تهدمت بسبب اكتساح العرب للمنطقة فيما بعد، فباتت خربة زمن مرور التجاني عليها في بداية القرن الثامن الهجري[26]. وبنو ونيفن ورتيفن وكان موطنهم الأحواز الغربية لمدينة طرابلس وتحديداً بقرية زنزور كما يفيد بذلك قول التجاني[27] "وأهل زنزور قوم من البربر هواريون ثم مجريسيون".

ومنهم بنى زمور بجبل نفوسة الذين كان وضعهم أحسن حالاً من إخوانهم بطرابلس، إذ يقول البكرى[28] أن جبل نفوسة "تليه قبيلة يقال لها: بنو زمور ولهم حصن يسمى (تيرقت)، فى غاية المنعة لا يطمع فيه أحد ولا يقدر عليه"، وبرغم أن البكرى قد بالغ فى دور بنى زمو، إلا أن الأمر لم يخلو من حقيقة تكمن فى زيادة نفوذ بنى زمور بوصول الوافدين إليهم من إخوانهم هوارة.

ج.قبيلة نفوسة

تعد نفوسة قبيلة من البربر البتر حسب اتفاق النسابة، وهم من ولد زحيك بن مادغيس الأبتر، وهى من أوسع قبائل البربر وفيها بطون شتى وشعوب كثيرة، حتى قيل أن لواتة ونفوسة تمثلان نصف عدد البربر البتر، ولا عجب فقد أطلق عليها أنها (أمة كبيرة)، ومن بطون نفوسة بنى مكسورة (مسكوره)، وماطوسة، وبنى تدرميت (تندميرت)[29]، وبنى ورتيزلن وورغمه واندامر وبنى تناوت وبنى ورزمار وبنى أجاج وبنى يخلف وبنى يجدلتن وغيرهم، وقد كان جبل نفوسة فى العصر الوسيط يمتد غرباً من لالوت (نالوا) إلى تيجرمين شرقاً وهى الحدود الحالية لإقليم زنقان، وينقسم إلى إقليمين: الإقليم الغربى وقاعدته شروس، وتسكنه بطون نفوسة الأصلية، والإقليم الشرقى وقاعدته الإقليمية فى جادو، وتقطنه بنو مكسورة وبنو تندميرت وغيرهم.[30]

ويؤكد هذا البكري إذ يقول أن جبل نفوسة "تليه قبيلة بنى زمور، ولهم حصن يسمى تيرقت فى غاية المنعة لا يطمع فيه أحد ولا يقدر عليه وبعد هذا الحصن قبيلة بنى تدرميت لهم ثلاثة حصون، وفى وسط هذه القبائل مدينة كبيرة تسمى جادو لها أسواق، أما مدينة شروس فهى أم قرى جبل نفوسة وحولها من القرى ثلاثمائة قرية آهلة".[31]

د. قبيلة زناتة

يرجع النسابة بطون زناتة إلى قبيلة ضرى (ضريسة) البترية، من ولد جانا بن يحى بن مازيغ، وأن أصلهم (عرب صراح)، وإنما تبربروا بالمجاورة والمحالفة للبربر، وتعداد قبائلها كثير جداً ومن الصعب حصرهم، وتشير المصادر التاريخية إلى أن زناتة كان لها تواجد فى إقليم طرابلس، وخاصة بجبل نفوسة وأحواز طرابلس، وما يؤيد هذا أن مدينة طرابلس كان لها من الأبواب ما يسمى باب زناتة وباب هوارة، مما يدل على أن زناتة كان لها تواجدها غير القليل بأحواز طرابلس، لهذا أطلق اسمها على أحد أبواب المدينة، حيث أن سنة (391ه/ 1000م) دخل إلى طرابلس فلفل ابن سعيد بن خزرون وهو من قبيلة مغراوة الزناتية، وأسس فيها إمارة زناتية أطلق عليها إمارة بني خزرون، كانت ملجأ وملاذ لإخوانهم الذين انحدرت جموعهم إلى طرابلس، وتوارثها أبناء بني خزرون الزناتيون فاستمر حكمهم لطرابلس حتى بعد الغزو الهلالي لإفريقية، ويبدو أن هذا الغزو قد أدى إلى هجرة بطون من زناتة إلى بلاد المغرب، إلا أن تواجدها بطرابلس قد ظل قائماً، حيث يذكر البكرى أن زواغة تقطن فى مدينة صبرة، وزواغة وزواوة تقيم حول قابس[32]، كما أن أسماء بطونها لا زالت تطلق على أطلال مدن طرابلس القديمة، فهنالك مدينة باسم زواغة غربى صبرة بـــ10كم[33]، ومدينة زواوة الأباضية – أحد بطون زواغة[34]، وقرية لمـــاية الواقعة بين منطقة الزاوية وزنزور[35]، مما يعنى أن زناتة كان لها تواجدها فى المنطقة بشكل فعال وبأعداد غير قليلة الأمر الذى ظهر أثره فى إطلاق اسم بطونها على المدن والقرى والنواحى التى حلت بها.

2- العناصر العربية.

إلى جانب البربر شارك العرب في الاستيطان على أرض طرابلس وعاشوا فيها كونهم جند الدولة الإسلامية الفاتحين، فمنذ أن أصبحت المنطقة تابعة للخلافة الإسلامية فى المشرق، توالت عليها الجيوش العربية لمواجهة الثورات والحركات

الخارجية، مما أدى إلى إقامة الكثير من القبائل الوافدة ضمن هذه الحملات على أرض المغرب، يضاف إلى ذلك تلك الهجرات الفردية والجماعية من العرب والقاصدة بلاد المغرب للإقامة بها بعد أن أصبحت قطراً إسلامياً، وقد أقام العرب بطرابلس بعد أن قام الولاة بتحصينها، فسكنها السكان من كل مكان، وقد أسفر هذا عن نشأة جيل عربى مسلم ولد فى بلاد المغرب، إذ اصطحبت القبائل المهاجرة نساءها وأطفالها، فاستقرت جموعها فى المراكز الرئيسية من مدن ورباطات ومحارس وثغور، خاصة الممتدة على طول سواحل البحر المتوسط، فنجد كوفيين وبصريين فى زويلة قاعدة فزان، كما كانت مجالاً للعرب المسلمين منذ وقت مبكر، إذ أقام بها عقبة وجيوشه لفترات غير قصيرة، ومما يؤيد هذا أن بلاد كانم وهى وراء زويلة بها قوم يزعمون أنهم من بنى أمية صاروا إليها عند محنتهم بالعباسيين.[36]

كما نجد من الشواهد على أن أبناء جند طرابلس العرب قد استمر تواجدهم بطرابلس، أن أحدهم لعب دوراً مهماً فى مساندة الفاطميين، وهو أبو العباس خليل بن إسحاق بن ورد، الذي قام فى سنة (300هـ/ 912م) بتعذيب أهل طرابلس وقتلهم واستخلاص الأموال منهم، تنكيلاً بهم جزاء ثورتهم على الفاطميين.[37]

يذكر البكرى[38] أنه بالقرب من الكنائس عقبة تعرف بآبار قيس، وغربى خرايب القوم، "قصر أبى معد نزار بن خالد بن يحى بن بابان، نزله من قريش من قرابة جبير بن مطعم نحو عشرين بيتاً، وأحياء كثيرة من بنى مدلج"، كما كانت مدينة ودان "مدينتان، فيها قبيلتان من العرب سهميون وحضرميون، فتسمى مدينة السهميين (دلباك)، ومدينة الحضرميين مدينة (بوصى)، وجامعهما واحد، وبين الموضعين والقبلتين تنازع وتنافس قد آل ذلك بهم مراراً إلى الحرب والقتال"[39]، وفى لبدة إلى الشرق من طرابلس بلغ عدد العرب بها نحو ألف فارسٍ محاربون لمن حولهم من البربر[40]، فضلاً عمن كانوا يعولونهم ومن كانوا غير محاربين من العرب.

وبهذا كان للعرب تواجد كبير فى إقليم طرابلس، حيث ظهر هذا التواجد بشكل واضح منذ القرن الثالث الهجرى/ التاسع الميلادى، وأغلبهم من أحفاد العرب الذين استوطنوا في البلاد منذ حركة الفتوحات العربية الإسلامية، يضاف إليهم أولئك الذين قدموا ضمن الهجرة الهلالية من قبائل سليم وبني هلال تأكيداً وترسيخاً لسيادة العناصر العربية فى إقليم طرابلس. مثل زغبة والتي تعد من بين القبائل الأولى التي حلت بطرابلس حيث يذكرها التجاني[41] في أحداث عام 429هـ عندما قتلت سعيد بن خزرون. وبنو زعب من نسل زعب بن بهثة بن سليم وقد تواتر ذكرهم بطرابلس أواخر القرن السادس وبداية القرن السابع الهجريين[42]. ويبدو أن حضورهم ظل قائماً حتى القرن الثامن الهجري، حيث أشار إليهم التجاني[43] وإلى مواطنهم "أرض زعب" بنواحي طرابلس. وبنو دباب الذين تميزوا بكثرتهم العددية ضمن فروع بني سليم، وهو ما شجعهم على حركات التمرد والثورة ضد السلطة الحاكمة[44]. كما لعب بنو سليم دوراً تجارياً لا يستهان به وسيطرت على الطرق التجارية الممتدة من برقة إلى طرابلس حتى أفريقية واستوطنت المراكز التجارية[45] كما عمل عرب ذياب من بني سليم بحراسة القوافل التجارية وقوافل الحجاج خاصة في الطرق الشاقة، وقد كان لهذه القبائل الرياسة على القبائل المغاربية المقيمة في المنطقة مثل قبيلة هوارة التي كانت تعيش تحت حماية عرب دياب وكذلك كان يهود المنطقة يعيشون تحت حراسة عرب وهيب[46]. كما أشار التجاني[47] إلى العوامر (بنو عامر) وهم ثلاثة بطون تنحدر من نسل عامر بن جابر بن فائد بن رافع بن دباب منهم النوائل واخوتهم أولاد سنان والوشاحيين.

3- أهل الذمة:

تعنى لفظة "الذمة" العهد والأمان، وقد أطلقت على فئتين من المعاهدين: اليهود والنصارى[48]. والحقيقة أن المادة العلمية التي وفرتها كتب الجغرافيين والرحالة بخصوص هاتين الفئتين تبدو محدودة للغاية، تقتصر على إشارات متناثرة.

أ- اليهود:

هاجر اليهود إلى شمال إفريقيا من قبل الميلاد وبعده وبعد الفتح الإسلامي، وكان اليهود في شمال إفريقيا قبل الفتح الإسلامي يعيشون حياة خوف وقلق من المستعمرين، ولكنهم بعد الفتح هدأت أحوالهم وسكنت نفوسهم واستقرت معيشتهم وازدهرت حياتهم الاقتصادية والاجتماعية بسبب تسامح المسلمين وتشريع الدين الإسلامي المنصف، وظلت الجاليات اليهودية تقطن المنطقة حتى وقت متأخر، ففى القرن السابع الهجرى كان فى طليمثة قصر يسمى قصر اليهود تقيم فيه الجالية اليهودية تحت خفارة العرب[49]، وكان قصرهم على شكل برج كبير، والإضافة إلى الجالية اليهودية الموجودة فى أجدابية[50]، فقد أشارت المصادر إلى أن أقدم الجاليات اليهودية وأكثرها هى الموجودة بمدينة (جادو) فى جبل نفوسة.[51]

وقد حرص اليهود على تقوية روابطهم مع البربر من أجل الاحتفاظ بمواقعهم الاقتصادية، لأنهم كانوا يعملون بالتجارة، وبالفعل ازدهرت تجارتهم وانعكس ذلك على استقرارهم ونموهم الديموغرافي، فاشتغل اليهود بتربية دود الحرير (القز) على غِرار ما كان بعض أهالي المنطقة يتداولونه، فكانت مدينة قابس مشهورة بكثرة شجر التوت؛ لذا كان يُربى فيها دود الحرير[52]، وأورد الإدريسي[53]: "أن كان بها فيما سلف طرز يُعمل بها الحرير الحسن".

فعلى الرغم من تعرض اليهود الموجودون في بلاد المغرب مثلهم مثل النصارى إلى مضايقات كبيرة منذ تولي عبد المؤمن بن علي حُكم المنطقة، حيث عرض الخليفة عبد المؤمن الإسلام على من بتونس من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن امتنع قُتل[54]، إلا أنهم اندمجوا في المجتمع الإسلامي وتحدثوا اللغة العربية بطلاقة، وتشربوا بالثقافة الإسلامية، حتى أن بعضهم ادعى أنه اعتنق الإسلام، فمن علماء اليهود المعروفين بتأثرهم بالعلوم العربية وخصوصاً النحو وفروعه المختلفة إبراهيم بن سهل الإسرائيلي الذي أنكر عليه بعض المسلمين صحة إسلامه، ووصفه ابن سعيد المغربي بأنه من عجائب الزمان في ذكائه، غادر الأندلس إلى المغرب في العصر الموحدي، فسأله ابن سعيد مستفسراً عن إسلامه، فقال: للناس ما ظهر، ولله ما ستر[55]، مما زاد في تشكك الناس فيه لإجابته المائعة والتي كان يمكن أن يصرح بها مُدافعاً عن إسلامه.

ومن خلال النصوص السابقة، نجد اتفاق على أن اليهود كانوا موجودين في مناطق ليبية مختلفة بكثرة، ولكنهم كانوا تابعين وتحت خفارة العرب، كما يمكن ملاحظة استقرار اليهود في مدن جادو، أجدابية، طلميثة، وهي تمثل مراكز لمحطات القوافل البرية من ناحية، ومراس لتجارة البحر من ناحية أخرى، مما جعلها مناطق جذب اقتصادي لليهود الذين برعوا واحترفوا ممارسة التجارة منذ أقدم العصور[56].

ب- العجم/ النصارى

هناك عنصر آخر وهو أبناء الروم القدم أو العجم القدم، وهم البيزنطيون الذين وجدهم العرب فى البلاد أثناء الفتح الإسلامي، حيث نزلت عناصر بيزنطية رومية يونانية على سواحل إفريقية إلى جانب الفرنجة، وعندما أطلق العرب اسم الروم على هذه العناصر لم يكن من باب التغليب فقط، بل لأنهم نظروا إلى التبعية السياسية، حيث كان البيزنطيون يسيطرون على برقة وطرابلس حتى طنجة، ولذلك فليس بخطأ أن نطلق على هذه العناصر الآتية من شمال البحر المتوسط اسم الروم مع اختلاف جهاتها، وانتشر الروم على طول الساحل، إذ من الثابت أن الروم كانوا فى طرابلس ورحلوا عنها أيام الفتح[57]، ومن الراجح بقاء جيوب للروم فى أنحاء طرابلس، وعدّوا من السكان القائمين بالإقليم نظراً لوجودهم المستمر فيه، وتفاعلهم وامتزاجهم بالسكان العرب أو مع القبائل البربرية، حيث قال ابن جبير[58]: "وتُجار النصارى لا يُمنع أحد منهم ولا يُعترض، وللنصارى على المسلمين ضريبة يؤدونها في بلادهم وتجار النصارى أيضاً يؤدون في بلاد المسلمين على سلعهم".

وتفيد كتب الرحالة بأن مجموعة مسيحية كانت ضمن التركيبة السكانية لطرابلس خلال فترة الدراسة، فعلى غرار "أفريقيا الرومانية" ازدهرت المسيحية بإقليم طرابلس، ورغم تراجعها الملحوظ بعد الفتح الإسلامي إلا أن طرابلس ظلت ممثلة ضمن "الخمس أسقفيات" التي صمدت إلى حدود منتصف القرن الثاني عشر الميلادي[59]. وهكذا تشير المصادر إلى شخص "نصراني" وإلى آخرين ينسبون إلى طائفة "العجم"[60]. ويبدو أن أعدادهم لم تكن قليلة حيث كان لهم كنيسة يقيمون فيها شعائرهم الدينية، كما تم اكتشاف مقبرة للنصارى بمنطقة عين زارة والتي تبعد 14 كلم عن طرابلس وتشمل 121 قبراً، ومقبرة أخرى في منطقة السواني على مسافة 18 كلم من طرابلس.[61] وإذا ما تتبعنا ما كتبه الجغرافيون والرحالة، وجدنا عندهم ذكراً للروم والأقباط الذين انتشروا حول طرابلس، حيث يشير البكري[62] إلى نصارى كانوا منتشرين حول مدينة طرابلس بقوله "وحولها أقباط في زي البربر كلامهم بالقبطية في قرارات في شرقيها وغربيها مسيرة ثلاثة أيام إلى موضع يعرف ببني السابري وفي القبلة مسيرة يومين إلى حد هوارة". كما ذكر قوله: "... وفي بعض مدن الواحات قبائل لواته، وإنما أهلها أقباط...".[63] وهو نص صريح بوجود الروم والأقباط بأعداد كبيرة حول مدينة طرابلس وما جاورها من قرى، وقد كانت توجد جالية مسيحية حول مدينة طرابلس[64]، ويذكر البكري أن نفوسة كانت نصارى أيام الفتح الإسلامي[65].

كما شكل الأوروبيون تواجداً ملحوظاً في التركيبة السكانية لطرابلس خاصة بعد تعرضها لغزو النورمان في سنة (541هـ/ 1146م)، إذ ظلت بعض الجاليات الأوروبية في طرابلس لامتهان حرفة التجارة.[66]

ج- الأفارقة:

يرجح البعض إلى أنهم خليط من المستعمرين اللاتين وبقايا أمم قديمة وعناصر بربرية، ومزارعى البيزنطيين وصناعهم، فتجمع هذه الأخلاط صفة الخدمة أى العمل فى المزارع والحرف، فهم يمثلون الطبقات العاملة فى مختلف المرافق[67]، وتكاد مواطن الأفارقة تقتصر على النواحى الساحلية، المحيطة بالمدن والأجزاء المزروعة، فكانت مواطنهم

تمتد من طرابلس إلى قابس، ولما كانت طرابلس موطناً للروم ورحلوا عنها، أقام بها الأفارقة الذين كانوا خدماً للروم، وكانت قابس مدينة الأفارقة، فلا شيء يمنع من اعتبار المنطقة الممتدة من طرابلس إلى قابس أكثر المناطق استيطاناً بالأفارقة، فظهروا فى المصادر أكثر تحضراً من البربر، يمارسون أنشطة زراعية وحرفية، وصفهم البكري[68] بقوله "... لهم كلام يتراطنون به ليس بعربي ولا أعجمي، ولا بربري، ولا قبطي، ولا يعرفه غيرهم".

والإدريسي[69] في مجمل حديثه عن مدينتي قفصه وقابس وأهاليهما، تحدث عن الأفارقة، وقال: إنهم كانوا أهل البلاد من بقايا البربر، وكانوا يتكلمون باللسان اللاتيني والإفريقي، وهو ما يوحي بوجود أعداد كثيرة منهم في هذه المدن، وهو ما لم يذكره في حديثه عن مدينة طرابلس.

من خلال ما سبق فقد نستنتج التنوع الديموغرافي والسكاني للمدن والمناطق الليبية المختلفة، وتنوع التوزيع السكاني لتلك العناصر المختلفة، وربما أثر ذلك التنوع على قوة العلاقات التي تربط تلك العناصر السكانية بمحيطها المحلي والإقليمي، مما انعكس على الأنشطة الحضارية وخاصة الاقتصادية منها في المدن والمناطق الليبية المختلفة.

- طبقات المجتمع

شهد المجتمع فى طرابلس تمايزاً طبقياً شأنه شأن المجتمعات الأخرى، نتيجة ما شهدته البلاد من ظروف سياسية واقتصادية، تمثلت في الاستحواذ على الأراضي والعمل الزراعي، إضافة إلى ازدهار الصناعة والتجارة، وتمثل مدينة طرابلس عاصمة الإقليم، لما تحمله من سمات المدينة المتحضرة والمزدهرة على مر العصور التاريخية، وتعد هذه المدينة مركزاً تجارياً لما تملكه من موقع جعلها حلقة وصل تربط الشرق بالغرب وبين الشمال والجنوب أيضاً، وذلك لما تتمتع به من أسواق ومرسى بحري قلما تجده في مدينة.[70]

كان للثروة والجاه الناتجين عن الأعمال دورهما فى الاختلاف الطبقى بين عناصر المجتمع، مما أفرز تصنيفاً طبقياً حسب العمل، وعلى هذا فإن إقليم طرابلس قد ضم العديد من الفئات الاجتماعية، ويمكن تقسيم مجتمع طرابلس وقتئذ إلى ثلاث طبقات رئيسية هى: طبقة الخاصة والطبقة الوسطى وطبقة العامة، واندرج تحت كل منها شرائح وفئات مختلفة ومتباينة.

1- طبقة الخاصة (طبقة الأمراء والحكام وعمال المدن)

تضم هذه الفئة الولاة والأمراء وعمال المدن والأقاليم، وعاش الأمراء في طرابلس فى ترف زائد ورغد فائق، وكان لهم النصيب الأكبر من دخل موارد البلاد، إذ كان ما يميز ولاة طرابلس أنهم كانوا من كبار القواد والأعوان أو من الأسرة الحاكمة، فنجد العباس بن أحمد بن طولون يأخذ من أمتعة التجار الغرباء ما يليق بخزانته دون أن يدفع ثمناً، وقد أقيم لابن طولون وبطانته القصور والدور التى أعدت لنزولهم فيها، ويُعتقد أنه كان لديه كُـتَّاب للرسائل، إذ قام بمراسلة أمير إفريقية إبراهيم ابن أحمد الأغلبي، بالإضافة إلى والى جبل نفوسة إلياس بن منصور النفوسى[71]، كذلك كان عمال النواحى فى مدن وقرى طرابلس يمثلون طبقة مميزة داخل عمالتهم، حيث كانوا ينزلون دار الإمارة ويملكون الإقطاعات والضياع، فضلاً عما كان لهم من نفوذ وسطوة داخل نطاق عمالتهم، ومن الطبقة الخاصة أيضاً (صاحب الخراج) الذى يمثل الشخصية الثانية بعد الوالى فى عمالته، بل وربما تسلم جميع سلطات الوالى أيضاً، حيث أهملت المصادر المتاحة الكثير

ممن تولى هذا المنصب فى طرابلس، إلا أننا نجد ابن سعيد[72] يشير إلى أن أحمد بن أبى يعقوب: "كان يتولى الخراج من قبل أحمد بن طولون فى الوقت الذى خرج فيه العباس ابنه فأقره عليه".

ويبدو أن صاحب الخراج قد استمد مكانته الاجتماعية بما ناله من سلطة وجاه، وما كان يقع تحت يده من أموال يقوم بإنفاقها على المؤسسات الإدارية فى الإقليم.

2– الطبقى الوسطى

من ضمن هذه الطبقة عدة شرائح اجتماعية منها التجار وأهل العلم من القضاة والفقهاء والمعلمين وطلبة العلم، حيث احتلت فئة التجار مكانة بارزة بين سكان طرابلس، وساعدها على ذلك ما ضمته المنطقة من مدن تجارية هامة ومحطات للقوافل تربط بين مدن المغرب من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى، فأسواق طرابلس تشهد رواجاً كبيراً، وهي حافلة بكل أصناف البضائع إذ بقول البكري[73]: "...وبها أسواق حافلة وجامعة.."، وإزاء ارتباط مصالح الدولة بمصالح هؤلاء التجار كان بديهياً أن تضع الدولة سياسة توفر الراحة لهم، كان منها تنظيم الأسواق ونقلها إلى داخل المدن لأجل التمكن من رعايتها والإشراف عليها، فقد كانت طرابلس صالحة الأسواق أنها متقنة وبها بضائع وصُناع مهرة، وأنها مستودع يتجهز منه الناس من مختلف الجهات.[74]

ويمكن أن نفرق بين نوعين من تجار الطبقة الوسطى، وهما: تجار القوافل وتجار الجملة، أما عن تجار القوافل فهم الذين قاموا بجلب البضائع من وإلى المنطقة، لاسيما البضائع السودانية التى لاقت إقبالاً كبيراً لدى السكان والتجار الوافدين، كالذهب والجلود والعاج وغيرها من البضائع الثمينة مقابل حمل بضائع المنطقة إلى تلك المناطق[75]، مثل ملح إقليم طرابلس[76]، وثيابها القصار الحمر[77]، كما قال الإدريسي[78]: "... وبها صناع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات".

أما الصنف الثانى من التجار فهم تجار الجملة والتجزئة فى الأسواق من أصحاب الحوانيت والمتجولين، ومنهم البربر الذين كانوا يجتمعون لإقامة أسواق سواء كانت اسبوعية أو موسمية كما أشار إلى ذلك التجاني[79] في حديثه عن زنزور بقوله أنها: "سوق نافعة ضخمة يجتمع البربر بها من الأقطار المتنائية في كل جمعة، فيبيعون هنالك جميع ما يجلبونه"، كما أسهم اليهود في النشاط التجاري بشكل كبير، فسكنوا المدن التجارية، وترددوا عليها مثل طلميثة[80]، وأجدابية[81].

وكانت المعاملات التجارية بين التجار تتم على أساس الثقة، إذ كانت القيم التي كانت تحكم التعامل التجاري متشابهة في الأديان الثلاثة، فكانوا مراسلو التجارة الشمال إفريقيين مستقرين على طريق المشرق في القاهرة وقوص وعيذاب وعدن، وقد استقر النفوسيون واللواتيون والزناتيون في أودغست، وفي تومبكتو أكثر الأحياء ازدهاراً يعود للغدامسية،[82] حيث كان للتجار الليبيين من غدامس وطرابلس وأوجلة وفزان وجبل نفوسة وزويلة مكانة مرموقة في مدينة تمبكتو وصلوا إليها نظير ما قاموا به من دور تجاري هام.

وكان التجار في إقليم طرابلس يمتازون بالحيلة في معاملاتهم مع التجار الواردين إليهم، فقد ذكر البكري[83] أن: "أهل سرت من أحسن خلق الله خلقاً وأسوأهم معاملة، لا يبتاعون إلا بسعر قد اتفق جميعهم عليه، وربما نزل المركب بساحلهم موسوماً بالزيت، وهم أحوج الناس إليه، فيعمدون إلى الزقاق الفارغة، فينفخونها ويوكونها ثم يصفونها في حوانيتهم

وأفنيتهم ليرى أهل المركب أن الزيت عندهم كثير بائر، فلو أقام أهل المركب عندهم ما شاء الله أن يقيموا ما باعوا منهم إلا على حكمهم".

وفي موضع آخر يشير البكري[84] إلى أن التجار غير متشددين في أسعارهم وأنهم يتقبلون المفاصلة في الأسعار، فيذكر عن وادى مخيل "هو حصن فيه جامع وله سوق عامرة حواليه جباب ماء وبرك وهو راخي السعر كثير الخير".

كما أن لأهل العلم مكانة مرموقة بين سكان طرابلس، وقد رابط الكثير من العلماء والزهاد فى الأربطة بإقليم طرابلس، فهو كثير الرباطات والمساجد التي يأوي إليها العلماء والزهاد والصالحون[85]، ومن خلال هذا النص نجد أن طرابلس حظيت بعدد كبير من رجال العلم والدين والقضاة والفقهاء إضافة إلى طلبة العلم والمعلمين، إذ كان دور هذه الشريحة لم يقتصر على الحياة الدينية والتربوية فحسب، بل امتد إلى الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، نظراً لتأثيرهم الفعال فى الأوساط الشعبية والعامة، ومساهمتهم فى الدفاع عن ثغور الدولة الإسلامية، فلا يخضعون لأهل الجاه حتى ينالوا منه حظاً من الرزق، ولا تفرغ أوقاتهم لذلك لما لهم فيه من الشغل بهذه الوظائف الشريفة، حيث حظيت هذه الفئة بقدر كبير من التقدير والاحترام سواء من حاكم الإقليم، نظراً لاعتماده عليهم في إدارة بعض شؤون الإمارة، أو للعامة، من خلال مساندتهم للحس الشعبى للعامة، وتعبيرهم عن معارضتهم فى المسائل المتعلقة بالدين والحياة العامة، ومن ثم لم يكن دورهم قاصراً على التدريس والتفقه فى أمور الدين، فقد قام الفقيه أبو الحسن بن المنمر 407ه/ 1016م بقيادة أهل طرابلس نحو الثورة على الشيعة، فقتلهم وقطع معالم الشيعة من طرابلس، ورد ما طمسوه من معالم المذهب السنى.[86]

3- طبقة العامة:

تشمل هذه الطبقة السواد الأعظم من سكان طرابلس لكونها تمثل الطبقة الشعبية، وقد حوت هذه الطبقة شرائح اجتماعية متنوعة، شكل وضعها المادى المتردى قاسماً مشتركاً بينها، فشملت: الحرفيين والصناع والمزارعين والرعاة والصيادين، فضلاً عن المتسولين والعبيد وغيرهم.

وكانت قد نالت الحرفة والصناعة أهمية كبيرة بين السكان، فلم يستنكف بعض الفقهاء عن ممارسة بعض المهن، فمنهم من كان فخاراً ومنهم من كان قطاناً ومنهم من كان نجاراً[87]، وغيرها من الحرف.

فقد كان حذق صناع طرابلس وجودة صناعاتهم جعلها ذات مقصد للتجار، فضلاً عن شهرتها الذائعة، إذ كانت لبدة بها قرب البحر (قصر عامر) آهل به صناعات وسوق عامرة.. وزيتون يستخرجون زيته فى وقته"[88]، أما طرابلس فهي "بيضاء حسنة الشوارع، متقنة الأسواق، وبها من صنائع وأمتعة يتجهز بها إلى كثير من الجهات".[89]

وعن الفلاحين فقد ضمت الطبقة العامة شريحة كبيرة منهم إلى جانب الصناع والحرفيين، فكان الفلاحون يشكلون قطاعاً هاماً من عامة السكان، الذين ارتبطت حياتهم بالأرض لاسيما فى إقليم طرابلس وجبل نفوسة، حيث توفرت لديهم مياه الأمطار، فضلاً عن خصوبة التربة، حيث كان للتربة دورها في انتشار الزراعة في طرابلس[90]، وما جعل عامة طبقة العامة الاتجاه إلى الفلاحة، ما تمتاز به الأرض من إصابة الزرع، إذ ذكر الإدريسي[91] أن: "أرض مدينة طرابلس عديمة المثال فى إصابة الزرع، ولا يدرى أن على معمور الأرض مثلها فى ذلك، وهذا مشهور معلوم"، فكان بها فحص

يسمى "سبجين أو سوفجين، .. يصاب فيه بعض السنين للحبة مائة حبة، وهم يقولون فحص سوفجين يصيب سنة فى سنين".[92]

ومن هذه الفئة، الرعاة الذين كانوا ينتشرون في القرى وقد امتلكوا قطعان الماشية والأغنام، فنجد العديد من الأهالي امتهنوا هذه المهنة لتوفر المراعي الكبيرة داخل الإقليم، كذلك رعاة الإبل فى ودان الذين كانت "معايشهم كدرة وأمورهم نكدة.. ويأكل جلتهم وخيارهم اللحوم الجمالية مقددة، ويشربون ألبان الإبل، وأكثر نيرانهم يقددونها فى بعر الجمال، وبعض الشوك والحطب عندهم قليل".[93]

أيضاً هناك فئة الرقيق، أو العبيد، وهم الخدم السود الذين يجلبون من السودان، وتعددت أعمالهم لخدمة السادة والتجار لحراسة قوافلهم التجارية، وفي الأسواق والبناء، كما أن الجند والعرب الوافدين الذين سكنوا طرابلس كان لهم العديد من الرقيق تقوم على خدمتهم، وتنوعت أصولهم ما بين المسلمين وغير المسلمين، إذ تذكر لنا المصادر أنهم "يخرجون الرقيق السودان من الميريين والزغاويين والمرويين وغيرهم من أجناس السودان لقربهم منهم وهم يسبونهم"[94]، ومدينة زويلة كانت من المراكز المهمة في تجارة الرقيق، حيث اعتمدت عليها البلاد في تجارتها عبر مصر وبلدان المغرب الكبير وأوروبا[95] وتعد إحدى المدن التي كان لها دور كبير في دخول الرقيق عن طريقها، مما جعلها تتميز بتجارة الرقيق وذلك لقربها من السودان.

من خلال السرد السابق نجد أن الطبقات الاجتماعية وفئاتها لم تكن بمعزل فيما بينها، بل كانت متشابكة ومتداخلة، حيث يمكن لبعض عناصر الطبقة الوسطى من الوصول إلى طبقة الخاصة، وذلك فى حالة توفر الشروط والمعايير المؤدية إلى ذلك، كما أن الطبقة العامة تعد بمثابة القوى الاقتصادية العاملة، التى تسهم فى بناء العمران الحضارى الذى شهدته المنطقة، وفي أدنى سلم الهرم الاجتماعى يأتى الرقيق، الذين تم استخدامهم من قبل الطبقة الخاصة وأهل الرفاهية داخل القصور والدور، أو للمتعة والترفيه، أو استخدامهم كحرس للقوافل التجارية، أو لاستعمالهم فى الحروب أو خدمة الأراضي.

- مظاهر الحياة الاجتماعية:

تؤكد النصوص المصدرية المتواترة على مدى الترف والرفاهية التى اتسمت بها الحياة الاجتماعية فى إقليم طرابلس، فقد عبر الرحالة والجغرافيون[96] عن الازدهار التجارى الذى شهده إقليم طرابلس سواء الساحلي أو الصحراوي، مما يؤكد امتزاج المنطقة ومشاركتها مع العالم الإسلامى تأثيراً وتأثراً، مما كان له مردوده فى الواقع الاجتماعى والثقافى للسكان.

من خلال ما سبق سيتم دراسة مظاهر الحياة الاجتماعية بإقليم طرابلس فيما يلي:

مستوى المعيشة

حدثت أزمات سياسية كثيرة في بداية فترة الدراسة بالمغرب الأدنى، أرخت بظلالها السلبية على حياة الأسرة؛ خاصة التي اتسمت بانحطاط مستواها المعيشي، فعجز أربابها عن توفير تكاليف الحياة وتعاظم المطالب المادية، وإذا ما صدقت روايات المصادر فإن الفقراء قد أضطروا إلى بيع الملابس وأثاث البيت، وشراء الطعام بالدين وسرقة الطعام من شدة

الجوع، ولبس المرقع والبالي من الثياب، وسكنوا المقابر والخرائب، وأكلوا لحوم الحيات، حتى أن كثير منهم مات بسبب سم الحيات الذي أهلكهم.[97]

وصورت رحلة التجاني[98] الأوضاع الاجتماعية لأهل طرابلس، حيث قال: "وجميع الخواص من هذه البلدة مقهورين تحت أحكام العوام منهم لبعد بلدهم عن الحضرة وانقطاعهم عن الأوامر، إلا أن في خواصهم وعوامهم إكراماً لمن يحل ببلدهم من الغرباء ووفاء لحقوقهم ومراعاة شديدة لأمورهم".

ولكن في الفترة اللاحقة ازدهرت الحياة الاقتصادية وانتعش السكان من جراء النشاط التجاري، فتحسنت أوضاعهم الاقتصادية وبالتالي تغيرت مظاهر الحياة الاجتماعية، حيث قال الإدريسي[99] في وصفه للمدينة: "كثيرة شجرة التين والزيتون وبها فواكه جمة ونخل، إلا أن العرب أضرت بها وبما حولها، وأجلت أهلها وأخلت بواديها وغيرت أحوالها، وأبادت أشجارها وغيرت مياهها"، ينقل لنا وصف الإدريسي أثر هجرة بني هلال وبني سليم والضرر الذي سببته هذه الهجرة على الإقليم إلا أنها ظلت تتمتع بشوارعها الحسنة وأسواقها الحافلة، ووفرة صناعاتها التي تقوم بتصديرها إلى كثير من الجهات، ويؤكد لنا هذا الوضع المزدهر الذي كانت تنعم به المدينة في القرن السادس الهجري، وفي الفترة التي قام فيها رجار النورماني بمهاجمتها.

العادات والتقاليد

نجد من خلال كتب الرحالة أن أهل طرابلس كانت لهم عادادت وتقاليد اجتماعية عديدة، فقد اشتهرت طرابلس بكثرة المزارات التي أسسها الأولياء الصالحون، فكان الناس يزورونها ويترددون عليها للتبرك بها ويجمعون الأموال لتنفق عى المحتاجين والفقراء تمسكاً بعاداتهم وقيمهم الإسلامية التي تدعو لمساعدة الضعفاء، ومن هذه المزارات مزار الشيخ الصالح أبي محمد عبد الوهاب القسي الذي يعظمه أهل طرابلس كثيراً، وكذلك مزار الإمام أبي إسحق إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد ابن عبد الله الإجدابي اللواتي بطرابلس.[100]

كما كان لزاوية أولاد سنان دور بالغ في تقوية الروابط الاجتماعية وأولاد سنان هم أخوة الوشاحيين والنوايل، وكان لسوقها نصيب في إثراء الحياة الاجتماعية بين الناس في إقليم طرابلس وغيرها من مدن المغرب العربي.[101]

إضافة إلى ذلك هناك جامع كبير في جنزور يقال أن عمرو بن العاص أسسه، ساهم هذا الجامع في تقوية العلاقات الاجتماعية بين الناس من خلال حلقات الدرس، ويجاوره قصر متسع يعرفونه بالقصر القديم، وهو أول قصر بني بجنزور، ويحيط به سور كبير لم يبق سواه، كان أهل المدينة يعظمونه، وبجانبه كانت تقام سوق ضخمة يجتمع فيها العرب والمغاربة من جميع البلدان في كل جمعة.[102]

من خلال السرد السابق تستنتج الباحثة أن هناك انتشار لعادة التبرك بالأولياء الصالحين في المجتمع الطرابلسي، حيث كانت المزارات والزوايا أماكن للزيارة وطلب البركة، كما تقام بها أسواق ومعارض أسهمت في الامتزاج بين المجتمع المغربي، وكونت عادات اجتماعية ظلت سائدة بين هذه المدن في جميع أرجاء المغرب العربي.

- **أخلاق أهالي طرابلس**

كانت القيم الدينية تتحكم في تصرفات معظم الناس في إقليم طرابلس، وتضبط سلوكهم وتوجه حياتهم الدنيوية، وكان الاحترام متبادل ما بينهم، فقد وصف بعض الرحالة أخلاق أهل طرابلس، وأعجبوا بها، بسبب التعامل الجيد الذي لقوه من السكان؛ ذلك لكون طرابلس يمر بها الرحالة خلال رحلاتهم، فدونوا انطباعهم على أهلها بأنهم أهل ضيافة وكرم، فقد وصف البكرى أهل طرابلس بأنهم أحسن خلق الله معاشرة، وأجودهم معاملة وأبرهم بغريب[103]، ذلك لكثرة التجار الواردين على بلادهم، وما يتوفر للسكان من خلال التجارة من ثراء، أي تبادل المنفعة بين التجار الواردين على البلاد وبين تجار أهل طرابلس، ويتجلى ذلك بصورة أكبر فى تطوع أهل طرابلس لإرساء المراكب والسفن بدون أجر، عند حدوث الجزر فى مياه البحر، إذ سوف يتقاضون أجرهم من خلال عمليات الشحن والتفريغ، أو البيع والشراء بعد ذلك.

ومن خلال ما ذكره القلصادي[104] عنها، نجد أن أهلها يتصفون بالجود وحسن المعاملة والأخلاق، حيث أبدى الرحالة إعجابه بها، وأشاد بأهلها وحسن معاملتهم مع الغريب وكرم طباعهم، إذ ذكر عن أهل طرابلس أثناء زيارته لها: "... وحبونا بالبر والإكرام"، فقد تأصلت العادات الاجتماعية الطيبة في أهل مدينة طرابلس، لما أشاد به القلصادي في رحلته إلى كرم أهل طرابلس وبرهم بالضيوف المارين بالبلد.

وما ذكره التجاني[105] عنها عندما دخل طرابلس، قال "لما توجهنا إلى طرابلس وأشرفنا عليها كان بياضها مع شعاع الشمس يغشي الأبصار، فعرفت صدق تسميتهم لها بالمدينة البيضاء، وخرج جميع أهلها مظهرين للاستبشار رافعين أصواتهم بالدعاء"، ويجدر الإشارة هنا إلى أن التجاني كان في صحبة الأمير أبي زكريا اللحياني.

فهنا يوضح لنا التجاني أن الناس بالرغم مما كانوا يعانونه، إلا أنهم كانوا على درجة عالية من الأخلاق تجلت في إكرامهم لكل من يمر ببلدهم حيث كانوا يراعون أمور المارين ببلدهم ويضمنون حقوقهم.

كما خص البكري[106] مدينة طرابلس بوصف هام ضمن ما وصف من المدن في كتابه (المسالك والممالك) فقال في وصف أهل طرابلس: "أن أهل طرابلس من أحسن خلق الله معاشرة وأجودهم معاملة وأبرهم بغريب".

وهذه شهادة من أروع الشهادات التي يقدمها البكري عن أهل مدينة طرابلس، وما يهمنا من هذه الشهادة الطيبة ما تضمنته من وصف لأخلاق أهل طرابلس ومروءتهم، وأنهم كانوا معروفون بجمال الخلق وحسن السمعة، ومعاملتهم المحمودة للغريب.

- **الطعام**

إن تنوع الإنتاج الحيوانى والزراعى فى طرابلس، وازدهار الصناعات الغذائية وتعدد أشكالها قد ساعد على تنوع الغذاء لدى السكان، فكل الأراضى شبه الزراعية كانت تستغل كمراعى تربى عليها الحيوانات المختلفة مثل الضأن والماعز والإبل والبقر[107]، ويوضح هذا البكري[108] إذ يقول: "تصلح بها السائمة وتنمى على مراعيها وأكثر ذبائح أهل مصر منها"، وأضاف البكري[109] قائلاً: ".. لحومها عذبة طيبة ليس يؤكل بطريق مصر أطيب من لحومها".

ويعد الخبز الطعام الرئيسي في كل الوجبات، الذي كان من أجود أنواع الخبز، إذ يصفه الإدريسي[110] فيقول"... وأكثر زروعهم الشعير الطيب المتناهي طيباً مما إذا خبز كان أطيب من سائر الطعام في سائر الأقاليم، ولأهله في صنعة

الخبز حذق وتمهر، فاقوا في ذلك كل الناس"، ويؤكد ذلك البكري[111] بقوله: "ولهم في صنعة الخبز منه حذق ومهارة، فاقوا في ذلك على الناس".

وكان التمر كذلك يمثل الغذاء الرئيسى للمناطق التى تقل فيها زراعة الحبوب مثل الواحات، وكانت الأسماك متوفرة بالساحل كغذاء رئيسى، فكان يؤكل لحم الحيتان طرياً ومملحاً، وتسوى في الفرن بعد غسلها ووضعها فى طاجن ثم تؤكل، وليس بغريب أن تستخرج الحيتان من بحيرة كوار ويقومون بتمليحها، بل وتحمل منها إلى البلاد المجاورة.[112]

وأشار التجاني[113] إلى طرق حصول أهالي طرابلس على طعامهم، وذلك بقوله: "واعتماد كل واحد منهم (أهالي طرابلس) في طعامه وما يدخره من قوت عامه إنما هو على ما يجلب إليها من البحر، ومن عاداتهم ألا يتركوا أحداً يخرج شيئاً مما حصل ببلدهم من الطعام إلى خارجه، ويعاقبون عى إخراجه، وليس البلد بلد احتراث وهو بالجملة بحري لا بري إلا أن أرضهم معدومة المثال في إصابة الزرع إذا أصابت وليس يدري مثلها في ذلك".

بالإضافة لهذا فقد كانت طرابلس بها من الفواكه الطيبة اللذيذة الجيدة كالخوخ والفرسك والكمثرى وكان بها أيضاً شجر الجميز، الذى يشبه فى طعمه التين، وتسمى شجرة التين بها الكرمه، ولا تكاد دار تخلو منها أو من نخلة، كما كانت غابة طرابلس متصلة إلى الجبل بأنواع الفاكهة المختلفة وأصنافها المتعددة[114]، وكان أثرياء نفوسة يستخدمون طباخاً رجلاً أو امرأة، لإعداد الطعام الفاخر لهم، والذى يشبه طعام الملوك، فكانت السودانيات تحسن عمل الأطعمة الطيبة، وأصناف الحلوات وغير ذلك.[115]

- **المساكن**

تأثرت المساكن فى إقليم طرابلس بنمط الحياة الذى ألفه السكان سواء العناصر المستقرة أو الرحل، فضلاً عما توفر من المواد الخام لدى كل منطقة مما كان له أثره فى أنماط الدور وما اعتمدت عليه من مواد بناء، حيث أنه كانت هناك ثلاثة أنماط للحياة اعتمد عليها السكان فى حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وعليها تأثرت دورهم ومساكنهم، فتنوعت ما بين بيوت من الحجارة والطين، أو أكواخ من الخوص والأشجار، وثالثة من الشعر والوبر وهى الخيام، فكانت مساكن هوارة الممتدة من طرابلس إلى ودان (قياطن) وبيوت من شعر، وهنالك مرئيات ومنازل"[116] وملاحظ أن أنماط المساكن الثلاثة قد تتداخل فى مناطق التلاحم والاتصال.

ويذكر ابن سعيد أن المنطقة الممتدة من أجدابيا إلى الفيوم مجالات عرب وبرابر متفرقة، كما يحدثنا عن بطون البربر المنتشرة على ساحل البحر فيقول: "... وبعد لبدة يأخذ البحر في الدخول إلى الجنوب، وعلى ساحله هنالك عمائر لبطون من هوارة تحت حفاوة دياب ..، وفي آخر صعود البحر إلى الجنوب يكون قصر أحمد، وفي عرضه قصور مسراتة، وأهلها من هوارة تحت حفاوة دياب..."[117]

وقد تحدث التجاني[118] عن وجود البربر في إقليم طرابلس في مواضع عدة من رحلته فذكر: "... وانتهى السير بنا إلى قصر المحرس...، وأهله قوم من هوارة وقال أيضاً: كانوا ساكنين قبل ذلك بقصور بن خيار وهي قريبة من جبال مسلاتة من شرقي طرابلس، فاحتلتهم العرب فانتقلوا إلى هذا الحصن.

كما تحدث التجاني[119] عند مروره بوادي الرمل عن قصر عرف باسم فأرة، وقال عنه: "...سمي باسم قوم من البربر سكنوه يعرفون ببني فأرة...".

وهو ما يؤكد أن العمائر والقصور متواجدة بكثرة وهي من أغلب أنماط مساكن الطبقى الوسطى لدى أهالي طرابلس الغرب في فترة الدراسة.

إذ أشار التجاني[120] عند مروره بطرابلس إلى الشكل العام للإقليم إذ قال: "ورأيت شوارعها فلم أر أكثر منها نظافة، ولا أحسن اتساعاً واستقامة، وذلك أن أكثرها تخترق المدينة طولاً وعرضاً من أولها إلى آخرها على هيئة شطرنجية، فالماشي يمشي بها مشي الرخ خلالها"، فنستنتج أن المباني في إقليم طرابلس كانت عبارة عن مساكن مبنية من الحجارة والطين خاصة القريبة من البحر.

ويذكر التجاني[121] أثناء مروره بساحل زنزور بأن به مساجد كثيرة، وهي مساكن للصالحين قديماً وحديثاً شهيرة، والناس يزورونها ويتبركون بها، وإنها لمن أحسن المساكن لمن يريد الانفراد لعبادة ربه، والساكن بها يجمع بين الاحتراس ومجانبة الناس، وأكثرها من مباني ابن الأغلب مبتني المحارس من الإسكندرية إلى مجاز سبتة..."، وهو ما يؤكد أن هذه المباني كانت سكناً للصالحين إلا أن غلب عليها اسم المسجد، كونها تحتوي خلاوي للصلاة.

- وضعية المرأة

كان للمرأة إسهامات كبيرة فى التطور الحضارى والعمرانى الذى شهدته المنطقة من خلال مشاركتها فى الحياة العامة، وتمتعها بنوع من الحرية والمساواة تمشياً مع روح الدين الإسلامى الذى كفل لها ذلك، فقد كان نساء القصر يتمثلن فى زوجات الأمراء والولاة وبناتهن واخواتهن وعماتهن وحظاياهن، والغالب أن أحوال النساء فى القصور الإسلامية تكاد تتشابه لأن هذه الشريحة من النساء كانت تتمتع عن غيرها من النساء بالحياة المترفة الناعمة، إلى جانب ما يتاح لهن من المشاركة فى سياسة الدولة، والتدخل فى شئون الحكم لقربهن من الحكام، كما أن هناك أحد مساجد طرابلس يطلق عليه مسجد الجدة، إذ أنشأته إحدى جدات بنى الأغلب.[122]

ويبدو أن النساء اعتدن لبس (النقاب) عند خروجهن للتسوق، أو لقضاء بعض شؤونهن، خارج المنزل، فقد ورد عند البكري[123] في حديثه عن قابس: "نساءها لا يرين في ذلك عليهن حرجاً، إذا سترت إحداهن وجهها، ولم يعلم من هي".

وكانت النساء في كل من طرابلس وجبل نفوسة يغزلن وينسجن الأقمشة والأغطية والزرابي إلى جانب الرجال، فاختصت النساء بالغزل والنسيج في بيوتهن، فكانت الفقيرات منهن يغزلن لحساب الغير.[124]

ويبدو أن النساء لم يمارسن الأعمال الأخرى المرتبطة بالنسيج من قصارة أو كمادة أو صباغة أو غيرها؛ لأنها من الأعمال الصعبة التي استلزمت القوة لتأديتها، ولكن من المؤكد أنهن مارسن أمور الغزل والنسيج والخياطة، وهي المهن التي تماشت وما أمر به الدين الحنيف، والظروف الاجتماعية من عادات وتقاليد.

نتائج الدراسة

1- كان لطرابلس أهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة لا سيما في مجال التجارة، مما أسهم في جذب عناصر سكانية متعددة إليها، كانت وراء تنوع التركيبة البشرية فيها بين قبائل بربرية وعناصر عربية وأقليات أخرى من أهل الذمة. كما كان للمعاملة الحسنة والأخلاق الطيبة التي تمتع بها سكان طرابلس أثره المباشر في وفود التجار والرحالة والعلماء إليها والإقامة فيها.

2- توصلت الدراسة إلى رصد عناصر السكان وتحديد أصولهم العرقية ومناقشة الآراء المتعددة فى أصولهم، وترجيح ما هو أقرب للصواب وما يدعمه من أدلة وبراهين. فضلاً عن تحديد بطون قبائل البربر من لواتة وهوارة ونفوسة وزناتة التى قطنت طرابلس، وقبائل البربر الأخرى مثل كتامة وصنهاجة، التى انتقلت للمنطقة والعوامل التى دفعتها لذلك، وكذلك بطون القبائل العربية التى استوطنت طرابلس وحجم تواجدها بالمنطقة والدوافع التى أدت لكثرتها فى منطقة دون أخرى. بالإضافة إلى الأقليات الأخرى. وبينت الدراسة تحديد مواطن كل عنصر من هذه العناصر والدوافع وراءها، وأهم ما طرأ على مواطنهم من تغيير مكانى عبر الفترة الزمنية، وما لعبه كل عنصر من أدوار سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية.

3- استنادا إلى النشاط الاقتصادي وما ترتب عليه من ثروة وملكية لوسائل الانتاج فضلاً عن معايير أخرى اشتمل المجتمع الطرابلسي خلال فترة الدراسة على ثلاث طبقات للمجتمع هى: الطبقة الخاصة، الطبقة الوسطى، الطبقة العامة، وكان لكل طبقة سماتها الخاصة بها، واندرج تحت كل طبقة عدد من الشرائح والفئات الاجتماعية، كان لكل منها خصائصه التى أهلته لينضم لطبقة دون أخرى.

4- نالت المرأة فى طرابلس نصيبها من الدراسة، فألقت الضوء على دورها فى المجتمع وما وصلت إليه من مكانة، وإن كانت النصوص عاقت إبراز دور المرأة فى طرابلس بشكل متكامل، إلا أنها جادت بذلك عندما تعلق الحديث بما بلغته المرأة من مكانة اجتماعية لا يقل عن شقيقاتها فى بلاد المشرق الإسلامى.

5- أظهرت الدراسة ما بلغته عناصر المجتمع من رفاهية وترف، وأبرزت مظاهر هذا الترف المتعددة التى ظهرت بوضوح فيما شهدته المنطقة من احتفالات بالأعياد والمواسم، كذلك ظهر هذا التنوع والرفاهية فى وسائل التغذية الكثيرة، وما استحدث من أنواع جديدة من الطعام، الأمر الذى أسهمت فيه العناصر الوافدة على المنطقة مع اختلاف جهاتها، مع احتفاظ بعض العناصر الريفية وأهل البادية بأنواع أغذيتها البسيطة التى رسخت بين جنباتها عبر السنين.

6- ظهر التنوع وتفاوت وسائل المعاش فى تعدد أنواع الملابس، والمسكن التى اختلفت بشكل كبير فيما بين عناصر السكان وطبقات المجتمع وشرائحه، كما برزت أخلاق القوم وعاداتهم وتقاليدهم التى تحدث عنها الرحالة والجغرافيون، والتى كانت خير معبر عن حياة المجتمع فى طرابلس ومدى تأثرهم ببيئتهم وظروفهم الحياتية المختلفة لما حوته من عادات وتقاليد حسنة أو سيئة.

Abstract

Social life in Western Tripoli through the writings of Moroccan geographers and travelers (5-9 AH / 11-15 AD)

By Asmahan Abdel Jalil

This study examines the social life in the city of Tripoli in western Libya between the fifth and ninth centuries AH/ 11-15 CE, based on the writings of geographers and Moroccan travelers. It identifies the major elements of the population, including Berber tribes, Arab elements, and righteous individuals, And identify the citizens of each of these elements and the motives behind them. The study also determines the upper, middle, and lower classes of society based on wealth and ownership of means of production, leading to diversity and disparities in livelihood means such as clothing, food, drink, and housing, as well as various types of clothing. The study highlights the morals, customs, and traditions of the people of Tripoli as described by travelers and geographers, which serve as a good reflection of the society's life in Tripoli and the extent to which they were influenced by their environment and different living conditions, encompassing both good and bad customs and traditions. Finally, the study sheds light on the position and status of women within the society, and if the texts hindered highlighting the role of women in Tripoli in an integrated manner, they did so when the hadith related to the social status that women had reached.

الهوامش والمصادر:

[1]) إدريس مفتاح حمودة، برقة في كتب الرحالة والبلدانيين، مجلة أصول الدين، ع4، ص217.

[2]) سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، (د. ت).

[3]) نقصد بذلك المؤلفات الجغرافية والرحلية يشترك مؤلفوها في أصلهم المغربي والأندلسي. بخصوص هذه الرحلات وأهميتها وحجمها الكمي يمكن العودة إلى الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، 1990،ج1، ص47 وما بعدها.

[4]) حافظ ولي، إقليم طرابلس الغرب خلال العصر الوسيط: دراسة في التعمير والآثار، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2011، ص459.

[5]) كتاب البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف، 1957، ص99.

[6]) البكري: المغرب في ذكر بلاد المغرب،"جزء من كتاب المسالك والممالك"، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص8.

[7]) أحمد مسعود عبدالله، الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لطرابلس في العصر الحفصي، رسالة دكتوراه، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان، 2013، ص250.

[8]) التجاني، أبو محمد عبد الله بن أحمد، رحلة التجاني ، تح حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1958، ص118.

[9]) المصدر نفسه، ص206.

[10]) رمضان محمد الأحمر: "أشهر بلدان ومدن اقليمي طرابلس الغرب وبرقة وأهميتها في إرساء تاريخ ليبيا الإسلامي وصياغته: من خلال نصوص الجغرافيين والرحالة المسلمين (ق1 – ق7هـ/ ق7 – ق13م)، دورية كان التاريخية، س14، ع52، 2021، ص26.

[11]) انظر تفصيلاً لذلك عند صالح مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، 1978، ص ص165 – 167، أحمد الأسود، أفريقية في عصر الولاة، دراسة سياسية واجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، تونس، 2009، ص23 – 24.

[12]) البكري، المسالك والممالك، تحقيق، جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج2، ص671.

[13]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص650.

[14]) أنظر الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، ص311؛ ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق، خوان قررنيط خينس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958، ص80.

[15]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص649، حيث يذكر أنه من أكبر القصور التي تهدمت.

[16]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص654.

[17]) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص312.

[18]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص659؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ص312.

[19]) امجد الدريدي، قبيلة هوارة ودورها في تاريخ المغرب الوسيط من القرن الأول إلى القرن الخامس هجري/ سابع – الحادي عشر ميلادي، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الوسيط، طلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2000، ص74 – 84.

[20]) البلدان، ص99.

[21]) المسالك والممالك، ج2، ص660.

[22]) اليعقوبي، البلدان، ص99.

[23]) أبو عبدالله محمد بن محمد، الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968، ص236.

[24]) أبو عبدالله محمد بن عمر الفهري، ملء العيبة لما جمع بطول الغيبة، ج2، تحقيق محمد الحبيب، تونس، 1982، ص1.

[25]) الرحلة، ص99.

[26]) التجاني، الرحلة، ص85، 316.

[27]) المصدر نفسه، ص214.

[28]) المسالك والممالك، ج2، ص656.

[29]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص656.

[30]) الإدريسى، نزهة المشتاق، ص299.

[31]) المسالك والممالك، ج2، ص655، 656.

[32]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص665، 666.

[33]) التجاني، الرحلة، ص211، 212.

[34]) فيما بين زواغة وقابس، التجاني، الرحلة، ص207.

[35]) التجاني، الرحلة، ص214.

[36]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص658.

[37]) التجاني، الرحلة، ص240، 241.

[38]) المسالك والممالك، ج2، ص648، 649.

[39]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص658، 659، ويذكر البكرى أن ودان من حيز برقة ويسكنها قوم من العرب، وبينها وبين قصر ابن ميمون – الذى يمثل آخر عمل طرابلس – ستة أيام، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، المجلد الثانى، عالم الكتب، بيروت، ص1375 .

[40]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص656.

[41]) الرحلة، ص267.

[42]) حافظ ولي، مرجع سابق، ص509.

[43]) الرحلة، ص141 – 142.

[44]) ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى، كتاب الجغرافيا، حققه ووضع هوامشه وعلق عليه إسماعيل العربي، بيروت، 1970، ص145 – 146، التجاني، الرحلة، ص85 – 86، 104، 118، 179 ،212، 214، 217.

[45]) ابن سعيد: الجغرافيا، ص79 – 80.

[46]) ابن سعيد: الجغرافيا، ص80.

[47]) الرحلة، ص213 – 214.

[48]) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت ، 1414هـ، ج11، ص26.

[49]) ابن سعيد المغربي، بسط الأرض في الطول والعرض، ص80.

[50]) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص311.

[51]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص656.

[52])البكري، المسالك والممالك، ج2، ص17

[53]) نزهة المشتاق، ص76.

[54]) التجاني، الرحلة، ص347.

[55]) حافظ ولي، مرجع سابق، ص460.

[56]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص656، الإدريسي، نزهة المشتاق، ص311.

[57]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص655.

[58]) محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي، أبو الحسين، ابن جبير، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، تح، محمد مصطفى زيادة، بيروت، القاهرة، 1955، ص26.

[59]) المغرب في حلى المغرب، ج1، ص264.

[60]) التجاني، الرحلة، ص253.

[61]) حافظ ولي، مرجع سابق، ص492، 493، 494؛ ثم تابع تفاصيل ذلك عند رمضان محمد الشيباني: "اكتشاف مقبرة مسيحية مبكرة للفنون والصنائع الاسلامية بمدينة طرابلس الغرب ليبيا"، مجلة لبدة الكبرى، جامعة المرقب، ع1، 2014، ص ص 85 – 100.

[62]) المسالك والممالك، ج2، ص653.

[63]) معجم ما استعجم، ج2، ص177، 186.

[64]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص653.

[65]) المصدر نفسه، ج2، ص656.

[66]) التجاني، الرحلة، ص241.

[67]) صالح مفتاح، مرجع سابق، ص182.

[68]) البكري أبو عبد الله بن عبد العزيز، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، مكتبة المتنبي، بغداد، 1968، (جزء من كتاب المسالك والممالك)، ص6.

[69]) نزهة المشتاق، ج1، ص283، 297.

[70]) التجاني، الرحلة، ص246.

[71]) علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد، المعروف بابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964، ج1، ص120.

[72]) المغرب في حلى المغرب، ج1، ص121، وقارن البلوي، أبو عبد الله بن محمد المدينى (ت حول منتصف ق 4هـ/ 10م)، سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، دمشق، 1358هـ، ص270، هامش 1.

[73]) المسالك والممالك، ج2، ص653.

[74]) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص297.

[75]) المصدر نفسه، ص100.

[76]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص654.

[77]) المصدر نفسه، ج2، ص658.

[78]) نزهة المشتاق، ص89.

[79]) رحلته، ص215.

[80]) ابن سعيد، بسط الأرض، ص80.

[81]) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص311.

[82]) البكري، المسالك والممالك، ص185؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص381.

[83]) المسالك والممالك، ج2، ص651.

[84]) المصدر نفسه، ص649 – 651.

[85]) المصدر نفسه، ص653.

[86]) التجاني، الرحلة ، ص265، 266.

[87]) المصدر نفسه، ص247.

[88]) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص308.

[89]) المصدر نفسه، ص297.

[90]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص655.

[91])نزهة المشتاق، ص289.

[92]) البكري، المغرب في ذكر إفريقيا وبلاد المغرب، ص9.

[93]) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص115.

[94]) ينظر، الإدريسي، نزهة المشتاق ، ص117 – 120.

[95]) البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص11.

[96]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص 649.

[97]) التجاني، الرحلة، ص191.

[98]) رحلته، ص257.

[99]) نزهة المشتاق، ص297.

[100]) التجاني، الرحلة، ص259 – 262.

[101]) المصدر نفسه، ص214.

[102]) المصدر نفسه، ص215، 216.

[103]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص662.

[104]) رحلته، ص124. أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978، ص124.

[105]) رحلته، ص237– 238.

[106]) المسالك والممالك، ج2، ص652.

[107]) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج1، ص298.

[108]) المسالك والممالك، ج2، ص660.

[109]) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص6.

[110]) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص57.

[111]) المغرب في ذكر إفريقيا وبلاد المغرب، ص9.

[112]) ابن سعيد المغربي، الجغرافيا، ص114.

[113]) رحلته، ص258، 259.

[114]) التجاني، الرحلة، ص246.

[115]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص849.

[116]) البكري، المسالك والممالك، ج2، ص660.

[117]) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970، ص128، وكذلك ابن سعيد، بسط الأرض، 62، ص79 –80.

[118]) رحلته، ص85.

[119]) المصدر نفسه، ص 316.

[120]) المصدر نفسه، ص238.

[121]) المصدر نفسه، ص220.

[122]) التجاني، رحلة التيجانى، ص249.

[123]) المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، ص18.

[124]) الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج2، ص249.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً :المصادر

1- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن إدريس (ت559هـ/ 1166م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002.

2- البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (487هـ/ 1194م، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ج2.

3- البكري أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ترجمة: وكلين دولسان، باريس، 1965، (جزء من كتاب المسالك والممالك).

4- البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المتنبي، بغداد، 1968.

5- البكري الأندلسي، معجم ما استعجم، المجلد الثانى، عالم الكتب، بيروت.
6- البلوي، أبو عبد الله بن محمد المدينى (ت حول منتصف ق 4هـ/ 10م): سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد على، دمشق، 1358هـ.
7- التجاني، أبو محمد عبد الله بن أحمد، رحلة التجاني (ت717هـ/ 1317م)، تح حسن حسني عبد الوهاب، الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس، 1958.
8- ابن جبير، أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت614هـ/ 1217م)، رحلة ابن جبير، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، تح: محمد مصطفى زيادة، بيروت، القاهرة، 1955.
9- ابن سعيد، علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك المغربي (ت685هـ/ 1286م)، بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق: خوان قررنيط خينس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958.
10- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970.
11- بن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، حققه وعلق عليه: شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، 1964.
12- العبدري، أبو عبدالله محمد بن محمد (قام برحلته عام 688هـ/ 1290م)، الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1968.
13- القلصادي (891هـ/1486م)، أبو الحسن علي الأندلسي، رحلة القلصادي، تحقيق محمد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978.
14- ابن منظور، أحمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت711هـ/ 1311م) لسان العرب، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
15- اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن إسحٰق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت284هـ/ 897م)، كتاب البلدان، منشورات المطبعة الحيدرية، النجف،1957.

ثانياً: المراجع:

1-أحمد الأسود، أفريقية في عصر الولاة، دراسة سياسية واجتماعية واقتصادية، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية، تونس، 2009.
2-أحمد مسعود عبدالله، الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لطرابلس في العصر الحفصي، رسالة دكتوراه، معهد بحوث ودراسات العالم الإسلامي، جامعة أم درمان، 2013.
3-إدريس مفتاح حمودة، برقة في كتب الرحالة والبلدانيين، مجلة أصول الدين، ع4، ص217.
4-امجد الدريدي، قبيلة هوارة ودورها في تاريخ المغرب الوسيط من القرن الأول إلى القرن الخامس هجري/ سابع – الحادي عشر ميلادي، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الوسيط، طلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2000.
5-الحسن الشاهدي، أدب الرحلة بالمغرب في العصر المريني، منشورات عكاظ، الرباط، 1990.

6-حافظ ولي، إقليم طرابلس الغرب خلال العصر الوسيط: دراسة في التعمير والآثار، رسالة دكتوراه، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تونس، 2011.

7-رمضان محمد الشيباني، اكتشاف مقبرة مسيحية مبكرة للفنون والصنائع الإسلامية بمدينة طرابلس الغرب ليبيا، مجلة لبدة الكبرى، جامعة المرقب، ع1، 2014.

8-رمضان مديع الأحمر، أشهر بلدان ومدن إقليمي طرابلس الغرب وبرقة وأهميتها في إرساء تاريخ ليبيا الإسلامي وصياغته: من خلال نصوص الجغرافيين والرحالة المسلمين (ق1 -ق7هـ/ ق7 – ق13م)، دورية كان التاريخية، س14، ع52، 2021.

9- سيد حامد النساج، مشوار كتب الرحلة قديماً وحديثاً، مكتبة غريب للطباعة، القاهرة، (د. ت).

10-صالح مفتاح، ليبيا منذ الفتح العربي حتى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، بيروت، 1978.